تأملات في رحاب آية الأحزاب

(يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم)

دروس وفوائد

د. إبراهيم بن فهد بن إبراهيم الودعان

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تأملات

في رحاب آية الأحزاب (53):

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ...}

دروس وفوائد

الدكتور

إبراهيم بن فهد بن إبراهيم الودعان

1441هـ

مقدمـــــــــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذه الورقات: مشاركة رابعة في مجال التأمّل والتدبّر في كتاب الله عزّ وجل، وهي مُساهمة يسيرة جدًّا في استنباط الفوائد، والدروس من بعض الآيات الكريمات.

وخطة الكتاب: هذه المقدمة، ثم ذكرتُ الآية، واسم السورة، ثم الفوائد المستنبطة منها، وكل فائدة أكتبها أذكر مصدرها الذي أخذتها منه في الحاشية من المكتبة الشاملة –وهي الأصل– أومن غيرها، وقد أعدّل في العبارة قليلاً، أو أُضِيف، ومالم اذكر مصدره فهو من استنباطي.

وقد اجتهدتُ –قدر استطاعتي– في الاستنباط، واستخراج الفوائد، فإن أصبتُ فهو من الله سبحانه وتعالى، وهذا ما أرجو، وأسعى إليه، وإن أخطأت فمن نفسي، والشيطان، وأستغفر الله من زللي وتقصيري.

هذا والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به كاتبه وقارئه وناشره.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد.

المؤلف

د. إبراهيم بن فهد بن إبراهيم الودعان

ebrahim.f.w@gmail.com

الموقع التجريبي

/http://eb-alwadaan.site123.me

الآية:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ ﴾ من سورة الأحزاب.

من فوائد الآية:

1- أهميّة الطعام، وقيمته في حياة الإنسان، وأنه قوت الأجساد، وبه تقوم.

2- الخطاب هنا عام كما يشمل الصحابة ﷺ، فهو أيضاً يشمل المسلمين، والمؤمنين إلى أن تقوم الساعة.

3- مكانة النبي ﷺ عند ربه سبحانه.

4- الدخول للبيوت يحتاج إلى آداب وقواعد.

5- دخول بيت النبي ﷺ ليس كأحد من البيوت.

6- الاستئذان أدبٌ إسلامي رفيع.

7- الحياءُ، خَصْلَةٌ جميلة، وخُلُقٌ إسلاميٌّ رفيع.

8- نعمةُ البصر من الله، فالمسلم يُسخّر هذه النعمة لما فيه الخير له.

9- لم يكن النبي ﷺ يملِك بيوتا فارهة، وغُرَفا فاخرة، ، وإنما هي مجموعة غرف صغيرة من الطين، وجريد النخل.

10- البيوت نِعمة من الله، تستر الإنسان، وتقيه الحرّ، والبرد.

11- الطعام مايطعمه الإنسان سواء أكان مأكولًا أم مشروبًا.

12- أهميّة طهارة القلب، فصلاح القلب صلاح للجسد كلّه.

13- النهي عن الدخول هنا للتحريم.

14- قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ نداء للمؤمنين محبّبٌ للنفوس، وقريب للقلوب من الله سبحانه.

15- تربية القرآن لجيل الصحابة ﷺ؛ ليكونوا قدوة لمن بعدهم.

16- بدأت الآية بالنداء لتنبيه المؤمنين.

17- هذا التنبيه إشعارٌ بالتوطئة لما بعده، وتمهيدٌ لما سيأتي.

18- عَظَمَةُ هذه الآية فهي مملوءةٌ بالآداب والقواعد السلوكية التي تعتبر منهجاً يسير عليه المسلم في حياته.

19- الآيات تنزل لتكون توجيهات وتنظيمات تُنيرُ الطريق.

20- كراهة انتظار الضيوف للطعام، ولعلّ هذا كان خاصا ببيت النبي ﷺ. وهذا الأدب يختلف باختلاف الزمان، فالآن الضيوف يأتون قبل الطعام، وينتظرون تقديمه لهم، وليس في ذلك حرج عند الناس في الوقت الحاضر.

21- الاستثناء في:(إلا أن يؤذن لكم) استثناء من عموم الأحوال التي يقتضيها الدخول المنهي عنه، أي إلا حال أن يؤذن لكم. فالكلام متضمن شرطين هما: الدعوة، والإذن، فإن الدعوة قد تتقدم على الإذن، وقد يقترنان.[1]

22- قيل في سبب نزول هذه الآية[2]، قال أنس ﷺ: أنّه لمّا تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش، دعا القوم فطعموا، ثم جلسوا يتحدَّثون فإذا هو ﷺ كأنَّهُ يَتَهَيَّأُ للقيامِ فلم يقوموا، فلمَّا رأى ذلك قام، فلمَّا قام، قام من قام، وقعد ثلاثةُ نفر، فجاء النبِي ﷺ لِيَدخُلَ فإذا القوم جلوسٌ، ثم إنهم قاموا فانطلقوا، فجئتُ فأخبرتُ النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا، فجاء حتى دخل

(1) فتح القدير للشوكاني 341/4 . التحرير والتنوير لابن عاشور 82/22 .

(2) أسباب النزول للواحدي ص 359 . لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ص 162 .

فذهبتُ أدخل فأَلْقَى الحجاب بيني وبينه؛ فأنزل الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا ﴾ الآية. (3)

23- وجاء في سبب النزول أيضاً: عن عمر بن الخطاب قال: قلت: (يا رسول الله لو حُجِبْتُ عن أمهات المؤمنين، فإنه يدخلُ عليكَ البر والفاجر، فنزلت آية الحجاب). رواه ابن جرير(4) وغيره.

24- قال ابن زيد في قوله: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيماً ﴾، قال: ربما بلغ النبي ﷺ أن الرجل يقول: لو أن النبي ﷺ توفي تزوّجتُ فلانة بعده، قال: فكان ذلك يؤذي النبي ﷺ، فنزل القرآن: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ ﴾ الآية. (5)

25- قوله: ﴿ فإذا طَعِمتم ﴾ أي أكلتم طعاماً أو شربتم شراباً ﴿ فانتشروا ﴾ أي: اذهبوا حيث شئتم في الحال، ولا تمكثوا بعد الأكل لا مستريحين لقرار الطعام في بطونكم ﴿ ولا مستأنسين لحديث ﴾ أي طالبين الأنس لأجله. (6)

26- قوله:﴿ ولكن إذا دعيتم فادخلوا ﴾ فيه تأكيد للمنع، وبيان الوقت الذي يكون فيه الدخول، وهو عند الإذن.

27- صبر النبي ﷺ، وقوّة تحمّله.

---

(3) صحيح البخاري 118/6 رقم الحديث 4791 . 53/8 رقم الحديث 6239. صحيح مسلم 1050/2 رقم الحديث 1428 .

(4) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري 164/19 .

(5) المرجع السابق 170/19. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم 3150/10 رقم الأثر 17764 .

(6) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي 392/15 .

28- قوله: (وإذا سألتموهن متاعًا) أي: شيئًا يُتَمَتّع به، من الماعون وغيره، وقوله: (فاسألوهنّ من وراء حجاب) أي: من وراء ستر بينكم وبينهن. والمتاع يطلق على كل ما يُتمتع به.

29- قوله:(ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ) في هذا أدب لكل مؤمن، وتحذيرا له من أن يثق بنفسه في الخلوة مع من لا تحل له، والمكالمة من دون حجاب لمن تحرم عليه. (7)

30- لماذا قال سبحانه: ﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ ﴾وقال:﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ ﴾، وبعدها قال سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ ﴾كرر سبحانه لفظ (النبي) مرتين، وفي الثالثة قال: (رسول الله) لعل -والله أعلم- أنه في البداية كان في مقام التعليم والآداب، وفي الثالثة كان في مقام التحذير، وبيان الخطورة.لأن نكاح زوجات النبي ﷺ، وهو رسول الله أشد جُرما، وأشد خطرا، وأقوى أذية للنبي ﷺ.

31- قوله: ﴿ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي ﴾ أي: لا يمتنع من بيانه وإظهاره، ولما كان ذلك يقع من البشر؛ لعلّة الاستحياء نفى عن الله تعالى العلّة الموجبة لذلك في البشر. (8)

32- أهميّة طهارة القلوب، وصفائها.

33- كلمة وردت في القرآن جميلة جدًّا، ووردت في الشعر أيضًا وهي كلمة (يؤذي). فقد قال أبو الطيب:

تَلَذُّ له المروءةُ وهي تؤذي * ومن يعشق يَلَذُّ له الغرام

وهذا البيت جميل شريف المعنى؛ إلا أن لفظة (يؤذي) قد جاءت فيه غَثّةٌ باردة، بينما وردت في القرآن بالغة الروعة، بادية الكمال، وذلك في قوله

---

(7) من 27-29 مستفاد من فتح القدير للشوكاني 4/341 -343 .

(8) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 14/226 .

تعالى: ﴿ فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم ﴾. [9]

34- قوله:(إذا دُعيتم) مشروعية إجابة الدعوة.

35- لإجابة الدعوة آداب يتحلى بها المسلم.

36- قوله: (فانتشروا) فيه أَدَبُ القرآن، ولغته الرفيعة؛ بدلا من قوله: امشوا، أو تفرّقوا ونحو ذلك.

37- لا بأس بالاستئناس في الحديث بعد الطعام، لكن في غير بيوت النبي ﷺ.

38- يُطلق لفظ:(الحديث) على الكلام الذي يدور بين اثنين، وأكثر.

39- قوله:(ذلكم) أي كلّ ماذكر سابقا في الآية؛ فإنه يؤذي النبي ﷺ.

40- الدخول بغير إذن، وانتظار نضج الطعام، والإتيان إلى البيت بدون دعوة، والبقاء بعد الفراغ من الطعام، والحديث بعد الطعام، وتكليم نسائه من دون حجاب، ونكاحهنّ من بعده كلّ ذلك كان يؤذي النبي ﷺ. [10]

41- كرر المولى سبحانه لفظ الأذى مرتين، (يؤذي)، و(تؤذوا) والأذى كلمة جامعة لما يَلحق الشخص من الضرر، أو المكروه اليسير. [11]

42- بُعدُ المسلم عن مواطن الرِّيَب، فيه سلامة لدينه، وعِرْضِه. من قوله:(ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ).

43- تسمى هذه الآية بآية الحجاب. ومعنى الحجاب: كل ما ستر المطلوب، أو منع من الوصول إليه، ومنه قيل للستر: حجاب لمنعه المشاهدة، وقيل للبواب:حَاجِبٌ لمنعه من الدخول. وأصله جسم حائل بين جسدين، ثم

---

(9) إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش 78/5 .

(10) من 39-40 مستفاد من فتح القدير للشوكاني 343/4 .

(11) القاموس المحيط للفيروزآبادي ص 1625 مادة (أذيَ) . التعاريف للمناوي ص 46 . بتصرّف .

استعمل في المعاني فقيل: العجز حجاب بين الرجل ومراده، والمعصية حجاب بين العبد وربه. (12)

44- طهارة القلوب شاملة لقلوب المؤمنين، ولزوجات النبي ﷺ.

45- كرر سبحانه كلمة (ذلكم) ثلاث مرات، ويبدو لي -والله أعلم- بأنه للالتفات، والاهتمام، وزيادة في البلاغة القرآنيّة.

46- مشروعية النكاح من المسلمات، دون زوجات النبي ﷺ.

47- إنّ الإثم يَعْظُم بِعِظَم الذنب، فنكاح زوجات النبي ﷺ بعد وفاته ذنب عظيم؛ لذا ترتب عليه الوعيد الشديد، والإثم العظيم.

48- هذا الدين كامل، وشامل بأوامره، ونواهيه، وآدابه.

49- قوله: (وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ) ثبوت صفة الحياء لله. و(الحَيِيّ) من أسمائه تعالى. (وحياؤه تعالى وصف يليق به، ليس كحياء المخلوقين، الذي هو تغير وانكسار يعتري الشخص عند خوف ما يعاب أو يذم، بل هو ترك ما ليس يتناسب مع سعة رحمته، وكمال جوده، وكرمه وعظيم عفوه وحلمه؛ فالعبد يجاهره بالمعصية مع أنه أفقر شيء إليه، وأضعفه لديه، ويستعين بنعمه على معصيته، ولكن الرب سبحانه مع كمال غناه، وتمام قدرته عليه يستحي من هتك ستره وفضيحته، فيستره بما يهيؤه له من أسباب الستر، ثم بعد ذلك يعفو عنه ويغفر). (13)

50- الإعلام بتعظيم قَدْر الرسول ﷺ، واحترام جنابه.

51- تطمين قلب الرسول ﷺ، وإدخال السرور عليه، لينشرح صدره، وترتاح نفسه. (14)

---

(12) المقصور والممدود لأبي علي القالي ص 173 .

(13) الموسوعة العقدية . موقع الدرر السنيّة .

(14) من 50-51 مستفاد من بيان المعاني على حسب ترتيب النزول لملا حويش 488/5 .

52- يتضح النهي عند قوله: ﴿ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا ﴾ ففيه التحريم والتحذير. ولكن الله سبحانه أراد تأكيد هذا الأمر الخطير، وتعظيمه، وتقريره في النفوس، ليكون أقوى تأثيرا.

53- كَرَمُ النبي ﷺ رغم الظروف التي يعيشها هو وأصحابه الكرام.

54- لم تكُن بيوت النبي ﷺ فيها حجبة أو بوّابون.

55- كان سبب النزول بعض الصحابة ﷺ، لكنّ العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب. فالخطاب أصبح عامّة للجميع.

56- حرص الشيطان على بثّ الشك، وإثارة الوساوس في النفوس.

57- قوله سبحانه: ﴿ أطهر لقلوبكم ﴾ الطهارة المعنوية، وتنعكس بدورها على الطهارة الحسّيّة.

58- قوله سبحانه: ﴿ أبدا ﴾ فيه تأكيد دائم مُطلق، واستمرار لا ينتهي.

59- يُفهم من الآية أنه حتى عند السؤال للفتيا، فإنه يكون من وراء حجاب. لأنهنّ وإن كنّ أمهات للمؤمنين فإنه يحرم عليهنّ الجلوس مع الرجال الأجانب، كما يحرم على نساء المؤمنين.

60- طريق الجمع بين قصص أسباب نزول آية الحجاب: أن أسباب نزول آية الحجاب تعددت وكانت قصة زينب آخرها للنص على قصتها في الآية.

61- الوحي ينزل على النبي ﷺ بالتشريع. (15)

62- يبدو أنّ الصحابة الذين لم يخرجوا من بيت النبي ﷺ قد أشغلهم الحديث.

63- نساء النبي ﷺ لسن كسائر النساء.

---

(15) من 59-60 مستفاد من فتح الباري لابن حجر 249/1 .

64- مشروعية الحجاب لأمهات المؤمنين.[16] وأما مشروعية الحجاب على نساء المؤمنين ففي قوله: ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهنّ من جلابيبهنّ.. ﴾.[17]

65- الحجاب فيه عِفّة ورفعة للمرأة.

66- استحباب تخفيف الزيارة للزائر.

67- ينبغي لمن أراد الدخول على كبير القدر، وصاحب الشأن أن يكون ذا فِطْنة وتَلَمُّح.[18] فعلى الضيف أن يكون فَطِنا، نبيها يَلْحظ حركة صاحب البيت إن كان متأذياً من طول جلوسهم، ويريدهم أن يخرجوا.فلا يحتاج أن يقول لهم اخرجوا لحيائه منهم، بل يرون حركته ويلحظونها فيفهمون ذلك ويخرجوا.

68- فيه دليل على أن الوحي كان لنزوله عند تجدد الأحداث حلاوة؛ فلو قد كان نزل جملة واحدة لفات منه مثل نزول آية الحجاب.[19]

69- أن الزوجة نعمة من نِعَم الله.

70- قول الله تعالى: ﴿ بيوت ﴾ عبّر سبحانه بالكل عن الجزء، فالغرفة جزء من البيت، والبيت أعمّ وأوسع.أو أنه تعبير عن تلك الغرف الصغيرة للنبي ﷺ بأنها بيوت، فكل غرفة عبارة عن بيتٍ مُستقل.

71- أن الداخل المأذون له، لا ينبغي له أن يُطيل الجلوس فيه بعد تمام حاجته التي دخل لها؛ لئلا يؤدي هذا إلى أذيّة صاحب المنزل.[20]

---

(16) من 62-64 مستفاد من فتح الباري لابن حجر 530/8 .

(17) سورة الأحزاب آية 59 .

(18) من 67-68 مستفاد من الإفصاح عن معاني الصحاح 520/5 .

(19) المرجع السابق 26/5 .

(20) التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن المُلقّن 124/29 .

72- أن من أطال الجلوس في دار غيره حتى كره ذلك من فعله، فإن لصاحب الدار أن يقوم بغير إذنه ويُظْهِر التثاقل عليه في ذلك حتى يفطن له. [21]

73- كمال أدب النبي ﷺ، وحُسْنِ خُلُقِه. [22]

74- كَراهة إطالة الجلوس عند من عُرِف عنه انشغاله، واهتمامه بمصالح المسلمين. [23]

75- بركة طعام النبي ﷺ، وبركة الأكل معه، والجلوس في بيته.

---

(21) المرجع السابق 124/29 .

(22) إكمَالُ المُعلِم بفوائد مسلم للقاضي عِياض 599/4 .

(23) المرجع السابق .

هذا الكتاب منشور في